# أغراض التفكّر في ضوء القرآن الكريم من منظور تربوي

د. حمدان عبد الله الصوفي- أستاذ أصول التربية المشارك
الجامعة الإسلامية- غزة- فلسطين

استلام البحث: ٢٠٢٠/٥/١٩ قبول النشر: ٢٠٢٠/٦/٢٢ تاريخ النشر : ٢٠٢٠/١٠/١

**الملخص**

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أغراض التفكر في ضوء القرآن الكريم، واستخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي من خلال تحليل معاني آيات التفكر الواردة في القرآن الكريم (ثماني عشرة آية)، بالرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة القديمة والمعاصرة، واستنباط أغراض التفكر المستفادة من سياق تلك الآيات. وخلصت الدراسة إلى أن ثمة سبعة أغراض رئيسة للتفكر في ضوء القرآن الكريم هي: إدراك السنن الكونية، والتأمل في السنن الاجتماعية، والاستدلال، واستخلاص الحكم والمعاني من الأمثال القرآنية، والتحليل الموضوعي للموقف، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وتحرير العقل من سلطان الخوارق. وأوصت الدراسة بضرورة تدريب طلبة العلم على التفكر في آيات الأنفس والآفاق، لاستخلاص القوانين العلمية التي تمكن الإنسان من امتلاك مقومات الاستخلاف والتمكين، وتخلّصه من سلطان الخوارق الوهمية.

**الكلمة المفتاحية: أغراض التفكر.**

**The Purposes of Thinking in the Light of the Holy Qur'an**

**Dr. Hamdan A. Alsoofi/ The Islamic University/ Palestine**

**Hsoofi@lugaza.Edu.Ps**

**Abstract**

This study aims to explain the purposes of thinking in light of the Holy Qur'an. The study adopted the deductive method by analyzing the meanings of the eighteen thinking verses mentioned in the Holy Qur'an That is by referring to the ancient and contemporary book interpretations and inferring the purposes of thinking from the context of those verses. The study concluded that there are seven main purposes, for thinking in the light of the Holy Qur'an, are understanding the universal regulations, contemplating the social codes, inferring, extracting maxims and meanings from the Qur'anic proverbs, analyzing the situation objectively, balancing between interests and evils, and freeing the mind from the authority of the paranormal. The study emphasized the necessity of training students to deeply think about the verses of the souls and the horizons in order to extract scientific laws that enable people to possess the elements of succession and empowerment

and rescue them from the authority of delusional parapsychology.

**Keyword: thinking purposes**

**المقدمة:**

جاء القرآن الكريم كتاب هداية للناس جميعاً، ليرشدهم إلى العقيدة الصحيحة، والفكر الصائب، والسلوك القويم، حيث قال تعالى: "إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُم أَجْراً كَبِيراً" (سورة الإسراء: ٩). وهذا يبين أن القرآن الكريم يهدي الإنسان لأقوم السبل في جميع مجالات الحياة الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، كما أنه يقوّم مسار الإنسان روحاً وعقلاً وجسماً. ويُعد الجانب الفكري من أهم الجوانب التي اهتم بها القرآن الكريم، حيث حضَّ في آيات كثيرة على التفكر والتعقل والنظر والاستدلال والتدبر والاعتبار.

ويُعدّ التفكر من أبرز الوظائف العقلية، التي ذكرها القرآن الكريم في ثماني عشرة آية تضمنت مشتقات التفكّر. وتكرار الإشارة إلى التفكر في القرآن الكريم يدل على عناية القرآن بهذه الوظيفة العقلية المهمة.

إن التفكر الوارد في القرآن الكريم يحقق العديد من الأغراض النافعة للإنسان في دينه ودنياه، حيث إن التفكر في آيات الأنفس والآفاق يربط قلب الإنسان بخالقه البديع، الذي أتقن كل شيء خلقه، كما أنه يسهم في تزويد الإنسان بقوانين العلوم الكونية والاجتماعية، التي تعينه على تحقيق عمارة الأرض، التي تعد أساس مهمة الخلافة الموكلة للإنسان. قال الله عز وجل: "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"(سورة هود: ٦١).

أي: ابتدأ خلقكم منها، وجعلكم فيها عُمَّاراً تعمرونها وتستغلونها (ابن كثير، ١٩٩٩، ٣٣١/٤).

إن القرآن الكريم قد أحدث تغييراً جوهرياً في حياة المسلمين الأوائل، حيث إنه نزل على أمة أمية ليس لها نصيب وافر من العلم والحضارة، لكنها استجابت لتوجيهات الوحي كتاباً وسنة فأصبحت خلال بضعة عقود أمة رائدة في ميادين العلم والمعرفة، ثم حظيت بعد ذلك بالمنزلة الأولى بين الأمم، بفضل ما ملكته من الأخلاق والعلم والإدارة، في ظل تفعيل الوظائف العقلية التي حث عليها القرآن الكريم. ومن أهم تلك الوظائف التفكر في سنن الأنفس والآفاق.

وقد حظي موضوع التفكر باهتمام العديد من الباحثين، الذين أدركوا أهميته وقاموا بدراسة جوانب منه، حيث أوضحت دراسة (الراوي، ٢٠١٢) أساليب القرآن الكريم في دعوته إلى التفكر والتعقل. وتطرقت دراسة (العكوز، ٢٠١٥) إلى معنى التفكر، وأقسامه، والتفكر المنهي عنه. كما بينت دراسة (الثويني، ٢٠١٨) ملامح التفكر في حكمة الليل والنهار.

وما زال موضوع التفكر الذي دعا القرآن الكريم إليه، وحضَّ عليه، يحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، لكي يصبح التفكر في سنن الأنفس والآفاق محوراً أساسياً في مشروع النهوض الشامل بالأمة المسلمة، لكي تأخذ مكانها اللائق بها في قيادة البشرية نحو الرشد والإصلاح على الوجه الذي أراده الله لها، حيث قال: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً"(سورة البقرة: ١٤٣). ومن المعاني التي تضمنتها الآية السابقة أن الله جعل الأمة المسلمة أمة عدلاً خياراً تَشْهَدُ عَلَى الأمم التي خرجت عَنْ جَادَّةِ

الِاعْتِدَالِ، وَتَسْبِقُ الْأُمَمَ كُلَّهَا بِاعْتِدَالِها وَتَوَسُّطِها فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، ذَلِكَ بِأَنَّ الله هداها إلى الْكَمَال الْإِنْسَانِيّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ كَمَالٌ (رضا، ١٩٩٠، ٥/٢).

وقد تناولت العديد من الدراسات جوانب من موضوع التفكر، حيث درست (الثويني، ٢٠١٨) آيتي الليل والنهار في القرآن الكريم، وخصائصهما، وفضائلهما، والتفكر فيهما. بينما درس (الحزيمري، ٢٠١٨) مفهوم التفكر، وأهميته، ومجالاته، وآثاره، والفرق بين التفكر والتفكير. وأوضحت (العكوز، ٢٠١٥) معنى النظر والتفكر، والفرق بينهما، وأقسام كل منهما، وثمرة التفكر. وبيّنت دراسة (الراوي، ٢٠١٢) معنى العقل وتسمياته في القرآن، وآيات التفكر والتعقل في القرآن، وأساليب القرآن في دعوته إلى التفكر والتعقل. وركزت دراسة (عبد الله، ٢٠١٠) على مفهوم التفكر، وأهميته التربوية، وأهم الممارسات التربوية التي تجعل من المعلم متفكراً مهنياً. وتناولت دراسة (تمزغين، ٢٠٠٨) حث القرآن على التفكر، وفضل التفكر، ومجالات التفكر وجوانبه في القرآن الكريم. وتناول (المجالي، ٢٠٠٥) معنى التفكر، ومنهج القرآن الكريم في عرضه، ودلالات التفكر وعلاقتها بالسياق.

وبالنظر إلى العرض الموجز للدراسات السابقة، يلاحظ أن أغراض التفكر لم تحظ بدراسة علمية خاصة بها، مما دعا الباحث إلى القيام بهذه الدراسة، التي قد تسدّ خلة، أو تقدم خطوة نحو فهم بعض جوانب التفكر في ضوء القرآن.

**مشكلة الدراسة:**

تتجاذب الأمة المسلمة المعاصرة تيارات متعددة في سيرها نحو تحديد هويتها وملامح مشروعها النهضوي، فهناك التيار التغريبي الذي يريد فصل الأمة المسلمة عن دينها وتراثها، وهناك تيار آخر جامد أفرط في رفض ما عند الأمم الأخرى ولو كان فاعلاً ومفيداً، وبالغ في التمسك بالتراث وأسبغ عليه قداسة الوحي وعصمته. وبين هذا وذاك تيار معتدل يسعى جاهداً إلى التوازن الذي يحفظ للأمة هويتها وأصالتها، ويفتح الباب للإفادة من جوانب الرشد البشري المتمثل في الاجتهادات العلمية والإدارية والاجتماعية الصائبة، والتجارب الاقتصادية والتعليمية الناجحة. ومن أجل الانفتاح الواعي على الواقع العلمي والثقافي للأمم الأخرى ينبغي تمكين منطلقات الأصالة في الأمة اعتقاداً وفكراً وسلوكاً. وهذا الأمر يقتضي الانطلاق من توجيهات الوحي قرآنا وسنة، وتقويم منهجية التفكير وفقاً لتلك التوجيهات. ومن هنا مسوّغ هذه الدراسة التي قد تثير اهتمام المؤسسات التعليمة –ولا سيما مؤسسات التعليم العالي– إلى ضرورة إعداد الأجيال القادمة بطريقة تجمع بين أصالة التفكير ومواكبة الواقع الذي لا يمكن للأمة المسلمة أن تعتزله فضلاً عن أن تتجاهله. ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

– ما أغراض التفكر في ضوء القرآن الكريم من منظور تربوي؟

**هدف الدراسة:**

قصدت الدراسة إلى بيان أغراض التفكر المستفادة من آيات القرآن الكريم التي تضمنت مشتقات التفكر.

**أهمية الدراسة:**

تأتي أهمية الدراسة من الجوانب التالية:

– تأصيل بعض المفاهيم المرتبطة بالتفكير، مما يفتح المجال لإسهامات أخرى تتناول أنواع التفكير وطرق تنميته.

– دور التفكر في تصحيح المفاهيم، ومن ثم تعديل السلوك، لما بين الفكر والسلوك من ترابط وتفاعل.

– قد يستفيد من هذه الدراسة المشتغلون بالتأصيل التربوي، والقائمون على العملية التعليمية، والمخططون لسياسة التعليم العالي ومناهجه ونشاطاته.

**منهج الدراسة:**

استخدمت الدراسة المنهج الأصولي (الاستنباطي) من أجل استخلاص أغراض التفكر المستفادة من آيات القرآن الكريم التي تضمنت أفعال التفكر ومشتقاته.

**حدود الدراسة:**

اقتصرت الدراسة على بيان أغراض التفكر المستفادة من الآيات القرآنية المتضمنة لمشتقات التفكر في القرآن الكريم، وهي ثماني عشرة آية.

**مصطلحات الدراسة:**

يمكن تعريف مصطلحيْن أساسييْن وردا في هذه الدراسة هما: التفكر، وأغراض التفكر.

– التفكر: تكرار النظر العقلي في ظاهرة معينة –كونية أو نفسية أو اجتماعية– من أجل تعميق فهمها وتوليد معانٍ جديدة مرتبطة بها.

– أغراض التفكر: مرامي ومقاصد التفكر التي أشار إليها القرآن الكريم، وحدّدتها الدراسة في سبعة أغراض هي: إدراك السنن الكونية، والتأمل في السنن الاجتماعية، والاستدلال، واستخلاص الحكم والمعاني من الأمثال القرآنية، والتحليل الموضوعي للموقف، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وتحرير العقل من سلطان الخوارق.

**تمهيد:**

جاء في معجم مقاييس اللغة: الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء. يقال: تفكر إذا ردد قلبه معتبراً (ابن فارس، د.ت، ٤٤٦/٤). وقال الجرجاني: التفكر تصرف القلب في معالي الأشياء لدرك المطلوب (الجرجاني، ١٩٨٨، ٦٦). وَالتَّفَكُّرُ: تَصَرُّفُ الْقَلْبِ فِي طَلَبِ مَعَانِي الْأَشْيَاءِ (البغوي، ٢٠٠٠، ٢٩٤/٤). وجاء التفكر بمعنى: جولان العقل في طريق استفادة علم صحيح (ابن عاشور،٤٤٣/٤).

يمكن الاستفادة من المعاني السابقة أن التفكر يعني تكرار النظر العقلي في أمور عظيمة معتبرة، لبلوغ معانيها الكامنة، والتوصل من خلاله إلى علم صحيح نافع. وبهذا المعنى يظهر فضل التفكر وشرفه، وأنه من أفضل أعمال القلب وأنفعها له (الجرجاني، ١٩٩٨، ٥٤٦/١). وقال عمر بن عبدالعزيز: الفكرة في نعم الله من أفضل العبادة. وقال بشر: لو فكر الناس في عظمة الله ما عصوه. ومن كلام الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة (ابن القيم، ١٩٩٦، ٥٣٩/١). وأورد الإمام ابن القيم كلاماً ثميناً يبيّن فيه أهمية التفكر وخطورته حيث قال: "أصل الخير والشر من قبل التفكر، فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض، وأنفع الفكر: الفكر في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد، وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار، هي أجل الأفكار، ويليها أربعة: فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء. ورأس القسم الأول: الفكر في آلاء الله ونعمه، وأمره ونهيه، وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته، من كتابه وسنة نبيه وما والاهما، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها؛ أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت، وهذه الأفكار تعلي همته وتحييها بعد موتها وسفولها، وتجعله في وادٍ والناس في وادٍ، وبإزاء هذه الأفكار –الأفكار الرديئة– التي تجول في قلوب أكثر الخلق، كالفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ولا أعطي الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع، كالفكر في كيفية ذات الرب وصفاته، وغيرها مما لا سبيل للعقول في إدراكه"(ابن القيم، ١٩٩٤، ٢٩٣–٢٩٤).

إن التفكر من العبادات العظيمة، التي ترتقي بالعبد وتبلغه آفاقا في الطاعة لا يبلغها بالعبادة القاصرة على الجوارح، دون تفكر القلب وحضوره، ذلك لأن التفكر يتعلق بالقلب، والعبادة متعلقة بالجوارح. وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح. وإضافة إلى كون التفكر عبادة راقية، فهو كذلك تدريب للعقل على فهم الظواهر الاجتماعية والكونية، واستخلاص الدروس والعبر الكامنة فيها.

**الإجابة عن سؤال الدراسة:**

ما أغراض التفكر في ضوء القرآن الكريم من منظور تربوي؟

من أجل الإجابة عن سؤال الدراسة اتبع الباحث الخطوات الآتية:

- حصر الآيات القرآنية التي تضمنت الأفعال التي تدل بألفاظها على التفكر، وهي ثماني عشرة آية.
- مراجعة كتب التفاسير القديمة والحديثة للوقوف على معاني الآيات، وأسباب نزولها إن وجدت.
- استخراج أغراض التفكر الواردة في الآيات من خلال الربط بين المعاني الواردة فيها.
- تجميع الآيات التي اشتركت في مقاصد متقاربة تحت عنوان واحد يمثل غرضا من أغراض التفكر.
- تحديد أغراض التفكر في سبعة أغراض أساسية.

– عرض نتائج الدراسة، وتوصياتها، ومقترحاتها. ومن أجل تحقيق الخطوات السابقة، تم تقسيم الدراسة إلى أربعة مباحث على النحو الآتي:

**المبحث الأول: الآيات المتضمنة لأغراض التفكر وفق ترتيبها في سياق الدراسة:**

**أولاً: إدراك السنن الكونية:**

١ –١– قال الله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(سورة الرعد: ٣).

١–٢– قال الله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة النحل:١١–١٠).

١–٣–"وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"
(سورة الجاثية: ١٣)

**ثانياً: التأمل في السنن الاجتماعية:**

٢–١– قال الله تعالى: "أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" (سورة البقرة: ٢٦٦).

٢–٢– قال الله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الروم: ٢١).

**ثالثاً: الاستدلال:**

٣–١– قال الله عز وجل: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" (سورة آل عمران:١٩١).

٣–٢–. قال تعالى: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ" (سورة الروم: ٨).

٣–٣– قال الله تعالى: "ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة النحل:٦٩).

٣–٤– قال عز وجل: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الزمر: ٤٢).

**رابعاً: استخلاص الحكم والمعاني من الأمثال القرآنية:**

٤-١- قال الله عز وجل: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (سورة الأعراف:١٧٦-١٧٥).

٤-٢- قال تعالى: "إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة يونس: ٢٤).

٤-٣- قال عز وجل: "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الحشر: ٢١).

**خامساً: التحليل الموضوعي للموقف:**

٥-١- قال الله عز وجل في ذلك: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ" (سورة الأعراف: ١٨٤).

٥-٢- قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"(سورة سبأ: ٤٦).

٥-٣- قال الله عز وجل: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"(سورة النحل: ٤٤ ).

**سادساً: الموازنة بين المصالح والمفاسد:**

٦-١- قال الله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ* فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (سورة البقرة: ٢١٩-٢٢٠).

**سابعاً: تحرير العقل من سلطان الخوارق:**

٧-١-. قال الله عز وجل: "قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ" (سورة الأنعام: ٥٠).

**المبحث الثاني:أغراض التفكر المستنبطة من معاني الآيات الواردة في كتب التفاسير:**

رجع الباحث إلى أمّات التفاسير قديما وحديثا من أجل تحليل معاني الآيات المتعلقة بالدراسة، وفي ضوء ذلك تم استنباط سبعة أغراض تربوية للتفكر، ليتم عرضها على النحو الآتي:

**أولاً: إدراك السنن الكونية:**

لفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى مظاهر خلق الله تعالى في الكون، وأرشده إلى التفكر في تلك المظاهر ليدرك ما فيها من إبداع الخالق ويأخذ الدرس والعبرة. قال الله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الرعد: ٣).

جاء في معنى الآية السابقة: "وهو سبحانه الذي جعل الأرض متسعة ممتدة، وهيأها لمعاشكم، وجعل فيها جبالا تُثَبِّتُها وأنهارًا لشربكم ومنافعكم، وجعل فيها من كل الثمرات صنفين اثنين، فكان منها الأبيض والأسود والحلو والحامض، وجعل الليل يغطي النهار بظلمته، إن في ذلك كله لَعظات لقوم يتفكرون فيها، فيتعظون" (مجموعة من العلماء، ١٩٩٥، ٤/٢١٥).

وقد بينت الآية أن الذين يتفكرون هم القادرون على الاعتبار بتلك الآيات، والوصول إلى الحكمة المرادة منها، وذلك لأن ما تضمنته الآيات من عجائب صنع الله لا يمكن إدراكه إلا بالتفكر. وأشار الإمام الألوسي إلى أهمية التفكر في تلك الآيات الكونية بقوله: "فإن التفكر فيها يؤدي إلى الحكم بأن يكون كلٌّ من ذلك، على هذا النمط الرائق والأسلوب اللائق، لا بد له من مكون قادر حكيم، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد" (الألوسي، ١٩٩٥، ٩/١٩٧).

ولا تقف أغراض التفكر عند إدراك جوانب العظمة والإبداع في تلك الآيات، بل تتجاوز ذلك إلى توحيد العبودية لله عز وجل، الذي تفرد بالخلق والتدبير. حيث بيّن الإمام الطبري أن ما ذكر في الآية السابقة من عجائب خلق الله وعظيم قدرته فيه دلالات وحجج وعظات، لقوم يتفكرون فيها، فيستدلون ويعتبرون بها، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا لمن خلقها ودبَّرها دون غيره من الآلهة والأصنام التي لا تقدر على ضر ولا نفع ولا لشيء غيرها، إلا لمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى، وأن القدرة التي أبدع بها ذلك، هي القدرة التي لا يتعذَّر عليه إحياء من هلك من خلقه، وإعادة ما فني منه وابتداع ما شاء ابتداعَه بها (الطبري٢٠٠٠، ١٦/٣٣٠).

وأشار الشيخ ابن عاشور من خلال تفسيره للآية السابقة إلى قصر نظر الطبائعيين الذين نسبوا صدور الموجودات إلى المادة، وأنكروا فعل الخالق المختار، فخالفوا بذلك العقل والمنطق (ابن عاشور، ٢٠٠١، ٧/٣٣٤).

كما يلفت القرآن الكريم نظر الناس إلى مظاهر كونية يراها الإنسان ويألفها، وقد تحول ألفته لها بينه وبين التأمل في جوانب الإبداع والإتقان فيها. قال الله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة النحل: ١١-١٠).

ويمكن إجمال معنى الآيتيْن السابقتيْن في أنَّ الله تعالى ينبت لكم بالماء الذى ينزل من السماء الزرع الذى يخرج منه الحبوب والزيتون والنخيل والأعناب، وغيرها من كل أنواع الثمرات التى تأكلونها غير ما ذكر، إنَّ فى إيجاد هذه الأشياء لعلامة هادية لقوم ينتفعون بعقولهم ويفكرون فى القدرة التى أوجدتها

(مجموعة من علماء الأزهر،١٩٩٥،١/٤٤١)

ويوضِّح الإمام الألوسي عجائب قدرة الله في إنبات الزرع، وحاجة الإنسان إلى التفكر في تلك الظاهرة، حيث تلقى الحبة والنواة في الأرض، وتصل إليها نداوة تنفذ فيها، فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في الأرض، وربما انبسطت فيها وإن كانت صلبة، وينشق أعلاها وإن كانت منتكسة في الوقوع، فيخرج منها ساق فينمو فيخرج منه الأوراق والأزهار والحبوب والثمار المشتملة على أجسام مختلفة الأشكال والألوان والخواص والطبائع، وعلى نواة قابلة لتوليد الأمثال على النمط المحرر لا إلى نهاية، مع اتحاد الماء والأرض والهواء وغيرها بالنسبة إلى الكل. ومن تدبر ذلك علم أن مَنْ هذه آثاره لا يمكن أن يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال، فضلاً عن أن يشاركه في أخص صفاته –التي هي الألوهية واستحقاق العبادة– أخس الأشياء كالجماد. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (الألوسي،١٩٩٥، ١٠/١١٣).

إنَّ ظاهرة إنبات الزرع تستحق أن يتفكر الإنسان فيها، حيث يعاين تحول الحبة الميتة والنواة الجامدة إلى كائن يحمل مظاهر الحياة، كالتغذية والتنفس والنمو. وهذا يوصل العاقل إلى إدراك عظمة الخالق وبديع صنعه.

ويلفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى سنة كونية تستحق التفكر، وهي سنة التسخير، حيث قال الله عز وجل: "وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الجاثية: ١٣)

وقد بيَّن الإمام الطبري في تفسيره للآية السابقة أن الله تعالى سخّر لكم أيها الناس مَا فِي السَّمَاوَاتِ من شمس وقمر ونجوم، وَمَا فِي الأَرْضِ من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن، لمنافعكم ومصالحكم. وجميع ما ذُكر لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله، وفضل منه تفضّل به عليكم، فإياه فاحمدوا لا غيره، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه (الطبري،٢٠٠٠، ٢/٦٥).

وختمت الآية بقوله تعالى: :إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ". أي: فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنْ تَسْخِيرِ الْبَحْرِ وَتَسْخِيرِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ دَلَائِلُ عَلَى تَفَرُّدِ اللَّهِ بِالْإِلَهِيَّةِ فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مِنَنًا يَحِقُّ أَنْ يَشْكُرَهَا النَّاسُ فَإِنَّهَا أَيْضًا دَلَائِلُ إِذَا تَفَكَّرَ فِيهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمُ اهْتَدَوْا بِهَا، فَحَصَلَتْ لَهُمْ مِنْهَا مُلَائِمَاتٌ جُسْمَانِيَّةٌ وَمَعَارِفُ نَفْسَانِيَّةٌ

(ابن عاشور، ٢٠٠١، ٢٥/٣٣٧).

إن التفكر في تسخير ما في السموات والأرض يتجاوز حدود التمتع بالنعمة إلى معرفة المنعم والإقرار له بالعبودية والشكر. ويشير الشيخ السعدي إلى هذا المعنى من خلال بيانه أن خلق السموات والأرض وتدبيرها وتسخيرها دال على نفوذ مشيئة الله وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن الخلقة دال على كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة دال على سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من التخصيصات والأشياء المتضادات دليل على أنه الفعال لما يريد، وما فيها من المنافع والمصالح الدينية

والدنيوية دليل على سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره، وكل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له وأن رسله صادقون فيما جاءوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبا ولا شكا (السعدي،٢٠٠٠، ٧٧٦/١).

إن سنة الله في تسخير ما في السموات والأرض للإنسان تستحق تفكراً عميقاً يوصل الإنسان إلى استخدام ما سخره الله له من مكنونات كونية في الارتقاء بشؤون حياته المادية والاجتماعية والنفسية، وتحقيق أعلى قدر من الرفاهية التي تليق بالإنسان، والسعي إلى عمارة الأرض التي تعد من وظائف الإنسان الكبرى. وينعكس ذلك على العملية التربوية برمّتها معلماً ومتعلماً ومنهاجاً، فالمعلم – ولا سيما معلم العلوم– ينبغي تدريبه على ربط الظواهر الكونية التي يدرسها بسياق خلقها وإبداعها، من أجل تعزيز الجانب الإيماني لدى طلبته. كذلك ينيغي على واضعي المناهج أن يراعوا في تصميمهم لها هذا الربط التربوي الهادف بين البعد الإيماني والبعد العلمي بحيث تضاف بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى بعض الظواهر الكونية في مواضعها المناسبة من المنهاج الدراسي.

**ثانياً: التأمل في السنن الاجتماعية:**

من أهم أغراض التفكر التأمل في سنن الله وآياته المبثوثة والاستفادة منها في تقويم فهم الإنسان وإصلاح سلوكه. وتعد السنن الاجتماعية الجانب المكمل للسنن الكونية، فكلاهما موضع تفكر واعتبار وتذكّر. وقد دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التفكر في كلا النوعين من السنن. قال الله تعالى: "أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ" (سورة البقرة: ٢٦٦).

إن الآية السابقة تتضمن مثلاً ضَرَبَهُ اللَّهُ لِعَمَلِ الْمُنَافِقِ وَالْمُرَائِي الذي يشبه في حسن ظاهره جنة يَنْتَفِعُ بِهَا صَاحِبُهَا حتى إذا كَبِرَ وله أولاد ضِعَافٌ أَصَابَ جَنَّتَهُ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ، فَصَارَ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا، وَضَعُفَ عَنْ إِصْلَاحِهَا لِكِبَرِهِ، وَعجز أَوْلَادِهِ ، كَذَلِكَ يُبْطِلُ اللَّهُ عَمَلَ هَذَا الْمُنَافِقِ وَالْمُرَائِي حِينَ لَا مُغِيثَ لَهُمَا وَلَا تَوْبَةَ وَلَا إِقَالَةَ (البغوي،١،٢٠٠٠/٣٢٩).

وأشار الإمام الألوسي إلى الغرض من التفكر في المثل السابق في تفسيره لتذييل الآية بقوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} أي: "كي تتفكروا فيها وتعتبروا بما تضمنته من العبر وتعملوا بموجبها، أو لعلكم تعملون أفكاركم فيما يفنى ويضمحل من الدنيا وفيما هو باقٍ لكم في الأخرى فتزهدون في الدنيا وتنفقون مما آتاكم الله تعالى منها وترغبون في الآخرة ولا تفعلون ما يحزنكم فيها" (الألوسي،١٩٩٥، ٢ / ٣٥٧).

والمقصود من الدرس المسوق في الآية السابقة أن يحرص الإنسان العاقل على أن يقدم من الأعمال الصالحة في شبابه ما ينفعه في هرمه، وأن يخلص أعماله في دنياه بما ينجيه في أخراه، وأن لا يغتر بالحياة الدنيا التي قد يمضي ويتركها أو تمضي وتتركه وهو أحوج ما يكون إليها.

قال الله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الروم: ٢١). هذه الآية تشير إلى البناء الأسري المتين، الذي ينطوي على نظام محكم يكفل للأسرة التماسك والترابط الوثيق الذي يسهم بدوره في تماسك منظومة البناء الاجتماعي. وقد بيَّن الشيخ ابن عاشور ملامح النظام الأسري المستفاد من الآية السابقة بقوله: "هَذِهِ آيَةٌ ثَانِيَةٌ فِيهَا عِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ بِنِظَامِ النَّاسِ الْعَامِّ وَهُوَ نِظَامُ الِازْدِوَاجِ وَكَيْنُونَةِ الْعَائِلَةِ وَأَسَاسِ التَّنَاسُلِ، وَهُوَ نِظَامٌ عَجِيبٌ جَعَلَهُ اللَّهُ مُرْتَكِزًا فِي الْجِبِلَّةِ لَا يَشِذُّ عَنْهُ إِلَّا الشُّذَّاذُ.

وَهِيَ آيَةٌ تَنْطَوِي عَلَى عِدَّةِ آيَاتٍ مِنْهَا: أَنْ جُعِلَ لِلْإِنْسَانِ نَامُوسُ التَّنَاسُلِ، وَأَنْ جُعِلَ تَنَاسُلُهُ بِالتَّزَاوُجِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ كَتَنَاسُلِ النَّبَاتِ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنْ جَعَلَ أَزْوَاجَ الْإِنْسَانِ مِنْ صِنْفِهِ وَلَمْ يَجْعَلْهَا مِنْ صِنْفٍ آخَرَ لِأَنَّ التَّآنُسَ لَا يَحْصُلُ بِصِنْفٍ مُخَالِفٍ، وَأَنْ جَعَلَ فِي ذَلِكَ التَّزَاوُجِ أُنْسًا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ تَزَاوُجًا عَنِيفًا أَوْ مُهْلِكًا كَتَزَاوُجِ الضَّفَادِعِ، وَأَنْ جَعَلَ بَيْنَ كُلِّ زَوْجَيْنِ مَوَدَّةً وَمُحَبَّةً فَالزَّوْجَانِ يَكُونَانِ مِنْ قبل التزاوج مُتَجَاهِلَيْنِ فَيُصْبِحَانِ بعد التزاوج مُتَحَابَّيْنِ... وَأَن جعل بَينهمَا رَحْمَة فهما قبل التزاوج لَا عاطفة بَيْنَهُمَا فَيُصْبِحَانِ بَعْدَهُ مُتَرَاحِمَيْنِ كَرَحْمَةِ الْأُبُوَّةِ وَالْأُمُومَةِ، وَلِأَجَلِّ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ هَذَا الدَّلِيلُ وَيَتْبَعَهُ مِنَ النِّعَمِ وَالدَّلَائِلِ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَاتٍ عِدَّةً فِي قَوْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (ابن عاشور،٢٠٠١، ٢١/٧١).

إنَّ القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى تأمل السنن الاجتماعية، التي تبدأ بذرتها من البناء الأسري، الذي يقوم على جملة من المبادئ والقيم والعواطف، التي تحفظ كيان الأسرة من عوامل التمزق والشتات. وينعكس غرض التأمل في السنن الاجتماعية على العملية التربوية، من خلال تركيز معلمي المواد الاجتماعية على إظهار السنن المتضمنة في الظواهر الاجتماعية والأحداث التاريخية، ليستفيد منها الطلبة في فهم حركة التاريخ البشري والاعتبار بالأحداث القديمة والمعاصرة.

**ثالثاً: الاستدلال:**

يُعدّ الاستدلال من أهم أغراض التفكر الواردة في القرآن الكريم، وقد لفت القرآن نظر الإنسان إلى آيات الأنفس والآفاق ليستدل بها على صفات الخالق عز وجل، الذي لا يستحق العبادة سواه، حيث إن عظمة الخلق تدل على عظمة الخالق، ومظاهر الإبداع في الكون تدل على جلال المبدع سبحانه وتعالى.

قال الله عز وجل: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" (سورة آل عمران: ١٩١). ويبيّن الإمام الطبري غرض التفكر في هذه الآية بقوله: "فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا مَن ليس كمثله شيء، ومن هو مالك كل شيء ورازقه، وخالق كل شيء ومدبره، ومن هو على كل شيء قدير، وبيده الإغناء والإفقار، والإعزاز والإذلال، والإحياء والإماتة، والشقاء والسعادة (الطبري،٢٠٠٠،٧/٤٧٥).

وقد يتفكر الإنسان في خلق السموات والأرض، فيقف عند ظاهر الآيات الكونية، دون أن يحقق غرض التفكر المتمثل في الاستدلال بالصنعة على الصانع وبالبرية على الباري، فيكون تفكره قاصراً عن بلوغ مقصوده. يقول الشيخ محمد رشيد رضا في هذا المعنى: "وَقَدْ يَتَفَكَّرُ الْمَرْءُ فِي عَجَائِبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَأَسْرَارِ مَا فِيهِمَا مِنَ الْإِتْقَانِ ، وَالْإِبْدَاعِ ، وَالْمَنَافِعِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعِلْمِ الْمُحِيطِ ، وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ ، وَالنِّعَمِ السَّابِغَةِ ، وَالْقُدْرَةِ التَّامَّةِ ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ الْقَادِرِ الرَّحِيمِ الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ فِي أَبْدَعِ نِظَامٍ ، وَكَمْ مِنْ نَاظِرٍ إِلَى صَنْعَةٍ بَدِيعَةٍ لَا يَخْطُرُ فِي بَالِهِ صَانِعُهَا اشْتِغَالًا بِهَا عَنْهُ ، فَالَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِعِلْمِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هُمْ غَافِلُونَ عَنْ خَالِقِهِمَا ، ذَاهِلُونَ عَنْ ذِكْرِهِ ، يُمَتِّعُونَ عُقُولَهُمْ بِلَذَّةِ الْعِلْمِ ، وَلَكِنَّ أَرْوَاحَهُمْ تَبْقَى مَحْرُومَةً مِنْ لَذَّةِ الذِّكْرِ وَمَعْرِفَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل (رضا،٤،١٩٩٠/٢٤٥).

ولذلك كانت خلاصة تفكر المؤمنين في السموات والأرض–كما وردت في الآية السابقة– أنهم يقرّون لله بالربوبية والألوهية بقولهم: ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار. ومعنى قول المؤمنين هذا وفقاً لتفسير الإمام الزمخشري، أي: ما خلقته خلقاً باطلاً بغير حكمة، بل خلقته لداعي حكمة عظيمة، وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك (الزمخشري،١،١٩٨٧/٤٥٤). وهذا يشير بوضوح إلى أن غرض التفكر في الآية السابقة هو الاستدلال المفضي إلى طاعة الله وعبادته من خلال التعرف على دلائل صنعته المتقنة. وقد جمع القرآن الكريم بين التفكر في النفس والتفكر في الكون، لأن كلا الأمرين يستدل به على قدرة الله وقيوميّته. قال تعالى: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ" (سورة الروم: ٨). ويوضّح الشيخ السعدي أهمية تفكر الناس في أنفسهم، لأن في الأنفس آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم من العدم سيعيدهم بعد ذلك، وأن الذي نقلهم أطواراً من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى آدمي قد نفخ فيه الروح إلى طفل إلى شاب إلى شيخ إلى هرم، غير لائق أن يتركهم سدى مهملين لا ينهون ولا يؤمرون ولا يثابون ولا يعاقبون (السعدي،٢٠٠٠، ١/٦٣٧).

وهناك دلالات أخرى في خلق السموات والأرض، تضمنتها الآية السابقة، وبيّنها الشيخ الشنقيطي في قوله: "وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَنَّ خَلْقَهُ تَعَالَى لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ بَاطِلًا وَلَا عَبَثًا، بَلْ مَا خَلَقَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَلَقَهُمَا عَبَثًا لَكَانَ ذَلِكَ الْعَبَثُ بَاطِلًا وَلَعِبًا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، بَلْ مَا خَلَقَهُمَا وَخَلَقَ جَمِيعَ مَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَخْلُقُ فِيهِمَا الْخَلَائِقَ، وَيُكَلِّفُهُمْ فَيَأْمُرُهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ، وَيَعِدُهُمْ وَيُوعِدُهُمْ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى الْأَجَلُ الْمُسَمَّى لِذَلِكَ بَعَثَ الْخَلَائِقَ، وَجَازَاهُمْ فَيُظْهِرُ فِي الْمُؤْمِنِينَ صِفَاتِ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، وَتَظْهَرُ فِي الْكَافِرِينَ صِفَاتُ عَظْمَتِهِ، وَشَدَّةُ بَطْشِهِ، وَعِظَمُ نَكَالِهِ، وَشَدَّةُ عَدْلِهِ وَإِنْصَافُهُ، دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (الشنقيطي،١٩٩٥، ٦/١٦٩).

ومن مواطن التفكر المذكورة في القرآن التفكر في نظام حياة النحل العجيب، الذي يُستدل به على إبداع الخالق عز وجل، حيث قال الله تعالى: "ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة النحل:٦٩). ولفت الشيخ السعدي النظر إلى نظام حياة النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيوتها التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، فيه شفاء للناس من أمراض عديدة. فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعى سواه (السعدي، ٢٠٠٠، ٤٤٤/٣).

كما أن التفكر في كيفية بناء بيوت النحل بشكلها الهندسي الدقيق ليعجب من هداية الله لها على هذا النحو المدهش. وقد أوضح الإمام أبو السعود أنَّ من تفكر في اختصاص النحلِ بتلك العلومِ الدقيقة، والأفعالِ العجيبةِ، المشتملةِ على حسن الصنعةِ، وصِحة القسمة، التي لا يقدر عليها حُذّاقُ المهندسين إلا بآلات رقيقة، وأدواتٍ أنيقة، وأنظار دقيقة، جزم قطعاً بأن له خالقاً قادراً حكيماً يلهمها ذلك، ويهديها إليه جل جلاله (أبو السعود، د.ت، ١٢٦/٥).

إنَّ التفكر في سلوك النحل ومظاهر حياته يمكّن الإنسان من الاستدلال على إبداع الخالق وإتقانه، ولذلك اختتمت الآية بالدعوة إلى التفكر في ذلك النظام البديع. وبيّن الشيخ القاسمي أهم أغراض التفكر في الآية السابقة بقوله: "لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ أي: فيعتبرون ويستدلون على وحدانيته سبحانه، وانفراده بألوهيته. وأنه هو الذي ألهم هذه الدواب الضعيفة فعلمت مساقط الأنداء، من وراء البيداء، فتقع على كل حرارة عبقة، وزهرة أنقة، ثم تصدر عنها بما تحفظه رضابا، وتلفظه شرابا" (القاسمي، ٢٠٠٣، ٣٨٦/٦).

كذلك وجه القرآن الكريم نظر الإنسان إلى التفكر في أحوال نفسه، وتقلبها بين الحياة والنوم والموت، وما في ذلك من دلالات القدرة الإلهية، حيث قال عز وجل: "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الزمر: ٤٢).

ويوضِّح الإمام أبو السعود مجمل معنى الآية بأنّ الله تعالى يقبض الأنفس من الأبدان بأنْ يقطع تعلُّقها عنها وتصرُّفها فيها، إمَّا ظاهراً وباطناً كما عند الموتِ، أو ظاهراً فقط كما عند النَّومِ، فَيُمْسِكُ النفس التي قضى عَلَيْهَا الموت، ولا يردُّها إلى البدنِ، وَيُرْسِلُ الأخرى أي: النَّائمةَ إلى بدنها عند التَّيقظِ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى وهو الوقتُ المضروبُ لموتِ الإنسان (أبو السعود،د.ت،١٣/٦).

ثم خُتمت الآية بقوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ". ويوضِّح الشيخ ابن عاشور بعض أغراض التفكر الواردة في الآية، من حيث تلمّس ما في حالة الإماتة والإنامة من دلائل على انفراد الله تعالى بالتصرف، وأنه المستحق للعبادة دون غيره، وأن ليس المقصود من هذا الخبر الإخبار باختلاف حالتي الموت والنوم، بل

المقصود التفكر والنظر في مضرب المثل، وفي دقائق صنع الله، والتذكير بما تنطوي عليه من دقائق الحكمة، التي تمر على كل إنسان كلَّ يوم في نفسه، وتمرّ على كثير من الناس في آلهم وفي عشائرهم، وهم معرضون عما في ذلك من الحكَم وبديع الصنع (ابن عاشور،١٢،٢٠٠١/٣٥٤).

ومن الملاحظ في الآيات السابقة أنها لفتت الأنظار إلى التفكر في بعض مظاهر الكون، وآيات الأنفس والآفاق، بغرض الاستدلال –من خلال تلك الآيات– على قدرة الخالق عز وجل، وإبداعه في سائر مخلوقاته، بما يفضي إلى التوجه إلى الله بالعبادة الخالصة، التي لا يستحقها غيره سبحانه. وينعكس هذا المعنى على العملية التعليمية، من خلال تدريب الطلبة على ممارسة المهارات العقلية العليا، التي تعينهم على إتقان مهارة الاستدلال بالنعمة على المنعم، وبالخلق على الخالق، وبمظاهر الإبداع على المبدع، الذي لا يستحق العبادة غيره.

**رابعاً: استخلاص الحكم والمعاني من الأمثال القرآنية:**

تضمن القرآن الكريم الكثير من الأمثال، التي تحمل معاني متعددة، وتتناول جوانب شتّى من الحياة. وقد رأى الإمام ابن القيم أن الأمثال هي عبارة عن تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر (ابن القيم،١٩٨١، ١٥).

ولما كان المثل قائماً على تشبيه صورة ما بصورة أخرى، فإنه يحتاج إلى تفكر وتأمل، لإدراك أوجه الشبه التي تتضمن معاني وحكماً متعددة، تسهم في فهم الإنسان لحركة حياته النفسية والاجتماعية.

قال الله عز وجل: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (سورة الأعراف: ١٧٦–١٧٥).

يوضّح الشيخ السعدي –رحمه الله– خبر الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها بقوله: "أي: علمناه كتاب الله، فصار العالم الكبير والحبر النحرير.{فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ} أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله... فترك كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس. فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين...فأزّه إلى المعاصي أزّا.{فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} بعد أن كان من الراشدين المرشدين. وهذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه، فلهذا قال تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا} بأن نوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا والآخرة، فيتحصن من أعدائه.{وَلَكِنَّهُ} فعل ما يقتضي الخذلان، فَأَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ، أي: إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية. {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} وترك طاعة مولاه، {فَمَثَلُهُ} في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، {كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} أي:

لا يزال لاهثاً في كل حال، وهذا لا يزال حريصاً، حرصاً قاطعاً قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا.{ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} بعد أن ساقها الله إليهم، فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهم على الله، واتباعهم لأهوائهم، بغير هدى من الله " (السعدي،٢/٣٠٨).

واختتمت الآية بقوله تعالى: "فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ". أَيِ: اقْصُصْ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْقَصَصِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ فِي الْقَصَصِ تَفَكُّرًا وَمَوْعِظَةً، فَيُرْجَى مِنْهُ تَفَكُّرُهُمْ وَمَوْعِظَتُهُمْ، لِأَنَّ لِلْأَمْثَالَ وَاسْتِحْضَارِ النَّظَائِرِ شَأْنًا عَظِيمًا فِي اهْتِدَاءِ النُّفُوسِ بِهَا وَتَقْرِيبِ الْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ إِلَى النُّفُوسِ الذَّاهِلَةِ أَوِ الْمُتَغَافِلَةِ، لِمَا فِي التَّنْظِيرِ بِالْقِصَّةِ الْمَخْصُوصَةِ مِنْ تَذَكُّرِ مُشَاهَدَةِ الْحَالَةِ بِالْحَوَاسِّ، بِخِلَافِ التَّذْكِيرِ الْمُجَرَّدِ عَنِ التَّنْظِيرِ بِالشَّيْءِ المحسوس (ابن عاشور،٢٠٠١، ٩/١٧٩).

ويضيف الشيخ محمد رشيد رضا مرامي أخرى للتفكر من خلال أمر النبي ﷺ بأن يقص على المكذبين قصة ذلك الرجل الْمُشَابِهَةِ حَالُه لِحَالِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ بِمَا جاء به النبي مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ وَغَايَتِهِ، وَمَعْنَاهُ وَصُورَتِهِ، رَجَاءَ أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهِ فَيَحْمِلُهُمْ سُوءُ حَالِهِمْ، وَقُبْحُ مَثَلِهِمْ عَلَى التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ، فَإِذَا هُمْ تَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ تَفَكَّرُوا فِي الْمَخْرَجِ مِنْهُ، وَنَظَرُوا فِي الْآيَاتِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ بِعَيْنِ الْعَقْلِ وَالْبَصِيرَةِ، لَا بِعَيْنِ الْهَوَى وَالْعَدَاوَةِ، وَلَا طَرِيقَ لِهِدَايَتِهِمْ غَيْرُ هَذِهِ، وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ شَأْنِ ضَرَبِ الْأَمْثَالِ فِي تَأْثِيرِ الْكَلَامِ، وَكَوْنِهِ أَقْوَى مِنْ سوقِ الدَّلَائِلِ وَالْحُجَجِ الْمُجَرَّدَةِ، وَيَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ شَأْنِ التَّفَكُّرِ، وَكَوْنِهِ مَبْدَأَ الْعِلْمِ وَطَرِيقَ الْحَق (رضا،١٩٩٠، ٩/٣٤٢).

وبذلك يبدو جلياً ما في المثل من مقايسة ومقارنة تستدعي التفكر لاستخراج ما فيها من معان وحكم تستعصي على المرور العابر بالآيات والنظرة السطحية لها.

قال تعالى: "إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة يونس: ٢٤).

بيّن بعض العلماء المعنى العام للآية السابقة بقولهم: "ما حالة الحياة الدنيا فى روعتها وبهجتها، ثم فى فنائها بعد ذلك، إلا كحالة الماء ينزل من السماء، فيختلط به نبات الأرض، مما يأكله الناس والحيوان، فيزدهر ويثمر وتزدان به الأرض نضارةً وبهجةً، حتى إذا بلغت هذه الزينة تمامها، وأيقن أهلها أنهم مالكون زمامها ومنتفعون بثمارها وخيراتها، فاجأها أمرنا بزوالها فجعلناها شيئاً محصوداً، كأن لم تكن آهلةً بسكانها وآخذةً بهجتها من قبل، ففى كلتا الحالتين نضارة وازدهار يبتهج بهما الناس، ثم يعقبهما زوال ودمار، وكما بيَّن الله ذلك بالأمثال الواضحة، يبيِّن الآيات ويفصل ما فيها من أحكام وآيات لقوم يتفكرون ويعقلون"

(لجنة من علماء الأزهر، ١٩٩٥، ١/٣٣٥).

فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها، فيفنيها ويهلكها كما أهلك أمرُنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها، حتى صارت كأن لم تغن بالأمس، كأن لم تكن قبل ذلك نباتًا على ظهرها (الطبري،٢٠٠٠، ٥٦/١٥).

وفرّق الشيخ محمد رشيد رضا بين من يتخذ القرآن الكريم نغمات يرددها في المواسم والأعياد، ومن يعمل عقله بالتفكر فيه، حيث قال: "وَالْعِبْرَةُ لِمُسْلِمِي عَصْرِنَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الْمُنَزَّلَةِ وَأَمْثَالِهَا، الَّتِي اهْتَدَى بِهَا الشَّعْبُ الْعَرَبِيُّ فَخَرَجَ مِنْ شِرْكِهِ وَخُرَافَاتِهِ وَأُمِّيَّتِهِ وَبَدَاوَتِهِ إِلَى نُورِ التَّوْحِيدِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالْحَضَارَةِ، ثُمَّ اهْتَدَى بِدَعْوَتِهِ إِلَيْهَا الْمَلَايِينُ مِنْ شُعُوبِ الْعَجَمِ، فَشَارَكَتْهُ فِي هَذِهِ السَّعَادَةِ وَالنِّعَمِ، أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ حَظٌّ مِنْهَا إِلَّا تَرْتِيلَهَا بِالنَّغَمَاتِ فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ وَالْمَآتِمِ، وَلَا يَخْطُرُ لَهُمْ بِبَالٍ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمُ التَّفَكُّرُ لِلِاهْتِدَاءِ بِهَا، وَلَوْ تَفَكَّرُوا لَاهْتَدَوْا، وَإِذَا لَعَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا يَشْكُو مِنْهُ الْبَشَرُ مِنَ الشَّقَاءِ بِالْأَمْرَاضِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ، وَالرَّذَائِلِ النَّفْسِيَّةِ، وَالْعَدَاوَاتِ الْقَوْمِيَّةِ، وَالْحُرُوبِ الدَّوْلِيَّةِ، فَإِنَّمَا سَبَبُهُ التَّنَافُسُ فِي مَتَاعِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ مَنْ تَفَكَّرَ فِي هَذَا وَكَانَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْهُ، فَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَلْتَزِمَ الْقَصْدَ وَالِاعْتِدَالَ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ، وَيَصْرِفَ جُلَّ مَالِهِ وَهِمَّتِهِ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ وَعِزَّةِ أَهْلِ مِلَّتِهِ، وَقُوَّةِ دَوْلَتِهِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِآخِرَتِهِ، فَيَكُونَ مِنْ أَهْلِ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ (رضا،١٩٩٠، ٢٨٥/١١).

ثم جاء تذييل الآية بقوله تعالى: "كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون"، ليلفت نظر الإنسان إلى التفكر والاعتبار المؤدي إلى تبيّن الحجج والأدلة التي توجب زوال الشك والشبهة من القلوب (الخازن، ١٩٩٥، ٣٩٢/٣).

كما يؤدي التفكر في انقضاء الحياة الدنيا إلى الزهد فيها، وجعلها مزرعة لدار السلام، التي هي دار البقاء (ابن عجيبة،٢،١٩٩٩/٤٨٣).

ويبدو جلياً من خلال الآية السابقة أن مثل الحياة الدنيا الزائلة، الذي سيق في الآية، يقتضي التفكر في الحياة الآخرة الخالدة، وما تنطوي عليه من سعادة لا تنتهي، وصحة لا تنقضي، وشباب لا هرم معه، مما يدعو الإنسان إلى الزهد في الدنيا، والحرص على طلب الآخرة.

قال عز وجل: "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الحشر: ٢١). وقد بيّن الإمام الشوكاني بعض جوانب التأثير في القرآن الكريم الواردة في الآية السابقة بقوله: "أي : من شأنه، وعظمته، وجودة ألفاظه، وقوّة مبانيه، وبلاغته، واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض لرأيته مع كونه في غاية القسوة، وشدّة الصلابة، وضخامة الجرم خاشعاً متصدعاً، أي : متشققاً من خشية الله سبحانه، حذراً من عقابه، وخوفاً من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله. وهذا تمثيل وتخييل يقتضي علوّ شأن القرآن وقوّة تأثيره في القلوب (الشوكاني،٧،١٩٩٤/١٩٧).

والملاحظ أن المثل الوارد في الآية المذكورة فيه تلويح للإنسان بضرورة التفكر في القرآن والخشوع له، وهو في ذلك أولى من الجبل الجامد. قال الإمام ابن كثير في هذا المعنى: "فإن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم

هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله، عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه" (ابن كثير،٨،١٩٩٩/٧٨).

إن المثل الوارد في الآية السابقة يتضمن معنًى قريباً يتمثل في صورة الجبل الأشم الذي يخشع ويتصدع لنزول القرآن عليه، ولكن يراد منه معنى آخر، هو توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره، كما أشار إلى ذلك الإمام النسفي (النسفي،٣،١٩٩٨/٤١٩).

وبالنظر إلى الأمثال الواردة في الآيات السابقة، والأمر بالتفكر فيها، يلاحظ أن ثمة أغراضاً للتفكر، تقتضي إدراك الحكم والعظات، التي تنطوي عليها تلك الأمثال، من حيث تجسيدها المعاني في صورة المحسوسات، ليسهل على الإنسان استيعابها والإفادة من دروسها وعبَرها. ويمكن المعلم أن يستخدم الأمثال في تنمية قوة طلبته على الملاحظة والمقابلة والمقارنة بين المتشابهات من الوقائع والظواهر.

**خامساً: التحليل الموضوعي للموقف:**

من أهم أغراض التفكر الواردة في القرآن الكريم توجيه الإنسان إلى التحليل الموضوعي للظواهر والمواقف، بعيداً عن التحيز والهوى الذي يصرف الإنسان عن الرؤية الصائبة والحكم القويم على الوقائع. ومن الأمور التي أنكرها القرآن الكريم على مشركي مكة اتهامهم النبي ﷺ بالجنون، متجاوزين بذلك كل قواعد المنطق السوي. قال الله عز وجل في ذلك: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ" (سورة الأعراف: ١٨٤).

أورد الإمام ابن الجوزي في سبب نزول الآية السابقة أن رسول الله ﷺ، علا على الصفا ليلة، ودعا قريشاً فخذاً فخذاً: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، فحذَّرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوِّت حتى الصباح، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، وقتادة (ابن الجوزي، ١٩٩٧، ٣/٦٤).

وبيّن الشيخ محمد رشيد رضا أن رمي المشركين للنبي ﷺ بالجنون يخالف التفكير السوي المستند إلى المنطق الواقعي، حيث قال: وَلَوْ تَفَكَّرَ مُشْرِكُو مَكَّةَ فِي نَشْأَةِ النَّبِيِّ – ﷺ– وَأَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، وَمَا جَرَّبُوا مِنْ أَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ مِنْ صَبْوَتِهِ إِلَى أَنِ اكْتَهَلَ، ثُمَّ تَفَكَّرُوا فِيمَا قَامَ يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللهِ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ كَوْنِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ تَقْتَضِي تَنَزُّهَهُ عَنِ الْعَبَثِ...ثُمَّ لَوْ تَفَكَّرُوا فِي سُوءِ حَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ (كَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ) وَالْأَدَبِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ وَمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِصْلَاحِهَا كُلِّهَا، لَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا الْإِصْلَاحَ الدِّينِيَّ وَالْأَدَبِيَّ وَالِاجْتِمَاعِيَّ وَالسِّيَاسِيَّ لَا يُثْمِرُ إِلَّا السِّيَادَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُهُ جُنُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ، بَلْ إِذَا كَانَ فِيهِ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ، فَهُوَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعِلْمُ الْعَالِي وَالْإِصْلَاحُ الْكَامِلُ مِنْ رَأْيِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأُمِّيِّ النَّاشِئِ بَيْنَ الْأُمِّيِّينَ، وَلَا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْبَلَاغَةُ الْمُعْجِزَةُ لِلْبَشَرِ فِي أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ وَنَظْمِهِ مِنْ كَسْبِ مُحَمَّدٍ الَّذِي بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ، وَلَمْ يَنْظِمْ قَصِيدَةً، وَلَا ارْتَجَلَ خُطْبَةً، وَأَنَّ هَذِهِ الْحُجَجَ الْبَالِغَةَ عَلَى كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَالْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْعِلْمِيَّةُ الْكَوْنِيَّةُ، لَا يَتَأَتَّى أَنْ تَأْتِيَ فَجْأَةً مِنْ ذِي عُزْلَةٍ لَمْ يُنَاظِرْ وَلَمْ يُفَاخِرْ وَلَمْ يُجَادِلْ أَحَدًا فِيمَا مَضَى مَنْ عُمْرِهِ كَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَإِذَا تَفَكَّرُوا فِي هَذَا كُلِّهِ جَزَمُوا بِأَنَّ هَذَا كُلَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى (رضا،١٩٩٠، ٩/٣٨١).

وخلص الشيخ ابن عاشور في تفسيره للآية السابقة إلى أن قدح المشركين في النبي ﷺ يطعن في عقولهم وعدلهم في الحكم، حيث قال: "والقصر المستفاد من النفي والاستثناء قصر موصوف على صفة، وهو يقتضي انحصار أوصاف الرسول ﷺ في النذارة والبيان، وذلك قصر إضافي، هو قصر قلب، أي هو نذير مبين لا مجنون كما يزعمون، وفي هذا استغباءٌ أو تسفيهٌ لهم بأن حاله لا يلتبس بحال المجنون لِلْبَون الواضح بين حال النذارة البينة وحال هذيان المجنون، فدعواهم جنونه: إما غباوة منهم بحيث التبست عليهم الحقائق المتمايزة، وإما مكابرة وعناد وافتراء على الرسول" (ابن عاشور،٢٠٠١، ٢٧/٦).

كذلك جاء في القرآن الكريم توجيه للمشركين بأن يتبعوا الطريقة العلمية الصحيحة في الحكم على المواقف والأشخاص بعيداً عن سطوة الأفكار المتوارثة والتقاليد البالية، حيث قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" (سورة سبأ: ٤٦).

قال الشيخ الزحيلي في تفسيره للآية السابقة: "أي: أحذركم وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وآمركم وأنصحكم بخصلة واحدة: هي قيامكم في طلب الحق بالفكرة الصادقة، والتأمل الذاتي المجرد المخلص، دون تأثر بهوى أو عصبية، متفرقين اثنين اثنين، أو واحداً واحداً، لأن الاجتماع والتجمهر يشوّش الفكر، وينشر الغوغائية والفوضى، ويثني الفكر عن الصواب، ثم ينصح بعضكم بعضاً بإخلاص أن ينظر ويتفكر في حقيقة أمر النبي ﷺ وما جاء به من الكتاب، فإنكم حينئذ تعلمون أن صاحبكم ليس بساحر ولا مجنون، ليس في أحواله ولا تصرفاته ما يدل على ذلك، وإنما هو نبي مؤيد من عند اللّه بالمعجزات الدالة على صدقه (الزحيلي،٢٢،١٩٩٨/٢٠٩).

إن التحليل العلمي للمواقف والظواهر يقتضي استشارة أهل الاختصاص والصدور عن رأيهم. قال الله عز وجل: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة النحل: ٤٤ ).

ذكر الإمام الثعالبي أن الآية الأولى السابقة ردٌّ على كفَّار قريش الذين استبعدوا أنْ يبعث اللَّه بشراً رسولاً، ثم قال تعالَى: (فاسئلوا)، أي: قلْ لهم: (فاسئلوا)، و(أَهْلَ الذكر) هنا: أحبارِ اليهودِ والنصارَى؛ قاله ابن عباس وغيره، وهو أظهر الأقوال، وهم في هذه النازِلَةِ خاصَّة إنما يخبرون بأنَّ الرسُلَ من البَشَر، وأخبارُهم حجَّة على هؤلاء، وقدْ أرسلَتْ قريشٌ إلى يهودِ يَثْرِبَ يسألونهم ويُسْنِدُون إليهم (الثعالبي،٢،١٩٩٨/٣٣٩). وهذا يقتضي أن النظرة العلمية الموضوعية تقوم على استشارة أهل العلم والخبرة، ولو كانوا من غير المسلمين.

ثم جاءت الآية الثانية التي اشتملت على حكمتين من الحكم التي أنزل الله تعالى من أجلها القرآن على النبى ﷺ. أما الحكمة الأولى: فهى تفسير ما اشتمل عليه هذا القرآن من آيات خفى معناها على أتباعه، بأن يوضح لهم ﷺ ما أجمله القرآن الكريم من أحكام، أو يؤكد لهم ﷺ هذه الأحكام. وأما الحكمة الثانية: فهي التفكر في آيات هذا القرآن، والاتعاظ بها، والعمل بمقتضاها (طنطاوي،١٩٩٨،١/٢٥٢٦).

وبالنظر إلى الآيات السابقة التي تضمنت التفكر أو حثت عليه، يلاحَظ أن الغرض الأساسي للتفكر يدور حول سلوك الطريقة العلمية في التفكير، التي تقوم على الحجة والبينة وسؤال أهل العلم والخبرة، وتجنب الوقوع تحت تأثير الأفكار السابقة الخاطئة، والخبرات المتوارثة المجانبة للصواب. ويمكن الاستفادة من هذا المعنى في تدريب المتعلمين على التفكير العلمي الموضوعي في فهم المواقف المختلفة، بعيداً عن الذاتية والتحيز للمواقف المألوفة والأفكار المسبقة.

**سادساً: الموازنة بين المصالح والمفاسد:**

قال الله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ* فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (سورة البقرة: ٢١٩-٢٢٠).

قبل الإشارة إلى دلالة التفكر في الآيتيْن السابقتيْن، ينبغي الوقوف على معناهما الإجمالي: يَسألكَ السائلون عن الْخَمْرِ وهو كل ما أسكر، والْمَيْسِرِ وهو القمار. قُلْ: فِيهِما أي: الخمر والميسر إِثْمٌ كَبِيرٌ يشير إلى ما وراءه من مضرة، وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ يشير إلى ما وراءه من مغانم تجارية، وتوسعة على المحاويج، فإنه من قمر منهم كان لا يأكل من الجزور، وكان يفرقه فى المحتاجين. وَإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما، أي: إن إثمهما يربو على نفعهما. ومعنى قُلِ الْعَفْوَ أي: قل: ينفقون ما سهل وتيسر وفضل، ولم يشق على النفس إخراجه (الأبياري،٩،١٩٨٥/١٦١).

ثم قال تعالى: "كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ"، أي: الدالات على الحق، المحصلات للعلم النافع والفرقان، "لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ"، أي: لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه، وتعرفوا أن أوامره، فيها مصالح الدنيا والآخرة، وأيضا لكي تتفكروا في الدنيا وسرعة انقضائها، فترفضوها، وفي الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فتعمروها (السعدي،١،٢٠٠٠/٩٨).

وقد فصل "رضا" في بيان حِكَم تبيين الله آياته للناس بقوله: "مَعْنَاهُ: مِثْلُ هَذَا النَّحْوِ وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنَ الْبَيَانِ قَدْ قَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ بِأَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ فِي الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِمَصَالِحِكُمْ وَمَنَافِعِكُمْ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُوَجِّهَ عُقُولَكُمْ إِلَى مَا فِي الْأَشْيَاءِ مِنَ الْمَضَارِّ وَالْمَنَافِعِ (لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) فَيَظْهَرُ لَكُمُ الضَّارُّ مِنْهَا أَوِ الرَّاجِحُ ضَرَرُهُ فَتَعْلَمُوا أَنَّهُ جَدِيرٌ بِالتَّرْكِ فَتَتْرُكُوهُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَاقْتِنَاعٍ بِأَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ مَا فِيهِ الْمُصْلَحَةُ، كَمَا يَظْهَرُ لَكُمُ النَّافِعُ فَتَطْلُبُوهُ، فَمِنْ رَحْمَتِهِ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُعْنِتَكُمْ وَيُكَلِّفَكُمْ مَا لَا تَعْقِلُونَ لَهُ فَائِدَةً إِرْغَامًا لِإِرَادَتِكُمْ وَعَقْلِكُمْ، بَلْ أَرَادَ بِكُمُ الْيُسْرَ فَعَلَّمَكُمْ حِكَمَ الْأَحْكَامِ وَأَسْرَارَهَا، وَهَدَاكُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ عُقُولِكُمْ فِيهَا، لِتَرْتَقُوا بِهِدَايَتِهِ عُقُولًا وَأَرْوَاحًا... ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ شَأْنُهُ أَنَّ هَذَا الْبَيَانَ الْمُعَدَّ لِلتَّفَكُّرِ لَيْسَ خَاصًّا بِمَصَالِحِ الدُّنْيَا وَحْدَهَا، وَلَا بِطَلَبِ الْآخِرَةِ عَلَى انْفِرَادِهَا، وَإِنَّمَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِمَا جَمِيعًا فَقَالَ: (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أَيْ: تَتَفَكَّرُونَ فِي أُمُورِهِمَا مَعًا، فَتَجْتَمِعُ لَكُمْ مَصَالِحُ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ فَتَكُونُونَ أُمَّةً وَسَطًا، وَأَنَاسِيَّ كَامِلِينَ، لَا كَالَّذِينَ حَسِبُوا أَنَّ الْآخِرَةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِتَرْكِ الدُّنْيَا وَإِهْمَالِ مَنَافِعِهَا وَمَصَالِحِهَا بِالْمَرَّةِ فَخَسِرُوهَا وَخَسِرُوا الْآخِرَةَ مَعَهَا؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَلَا كَالَّذِينَ انْصَرَفُوا إِلَى اللَّذَّاتِ الْجَسَدِيَّةِ كَالْبَهَائِمِ فَفَسَدَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَأَظْلَمَتْ أَرْوَاحُهُمْ، وَكَانُوا بَلَاءً عَلَى النَّاسِ وَعَلَى أَنْفُسِهِمْ فَخَسِرُوا الْآخِرَةَ وَالدُّنْيَا مَعَهَا" (رضا،٢،١٩٩٠/٢٧٠).

وبذلك يظهر أن الغرض الرئيس من التفكر الوارد في الآيتيْن السابقتيْن يتمثل في تقدير المصالح والمنافع الدنيوية، وتقديم الراجح منها والأنفع للإنسان، وتقدير المصالح الأخروية وتقديم الأرجح منها والأحسن عاقبة. أما إذا اجتمع في الأمر الواحد مصلحة ومفسدة، فإنَّ التفكر المشار إليه سابقاً يقتضي الموازنة بين المصلحة والمفسدة، حيث يقدم الإنسان على فعل الأمر الذي رجحت فيه المصلحة على المفسدة، ويترك الأمر الذي رجحت فيه المفسدة على المصلحة. ويستفاد من هذا الغرض التربوي في تنمية شخصية المتعلم، وتعزيز استقلاله في الحكم على المصالح والمفاسد، والتمييز بينها، واتخاذ القرار المناسب.

**سابعاً: تحرير العقل من سلطان الخوارق:**

جاء الإسلام ليرسخ قواعد التفكير العلمي، ويوجّه الإنسان إلى النظر في السنن الكونية والاجتماعية، لاكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر، من أجل تسخير تلك القوانين لخدمة الإنسان، بعيداً عن تأثير الأوهام التي تضلل العقول، وسلطان الخوارق الذي يقيد حركة الإنسان الفاعلة. قال الله عز وجل: "قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ" (سورة الأنعام: ٥٠).

في الآية السابقة يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للمكذبين الذِينَ يَقْتَرِحُونَ عَلَيْكَ الآيَاتِ تَعْجِيزاً لِجَهْلِهِمْ بِحَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ، وَلِظَنِّهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ لاَ يَكُونُ نَبِيّاً إلاّ إِذَا أَصْبَحَ قَادِراً عَلَى مَا لاَ يَقْدِرُ البَشَرُ عَلَيْهِ: إِنِّي لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَمْلِكُ خَزَائِنَ اللهِ، وَلاَ أَتَصَرَّفُ بِهَا، وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ اللهِ، فَعِلْمُ الغَيْبِ عِنْدَ اللهِ وَحْدَهُ وَلا أَطَّلِعُ مِنْهُ إلاَّ عَلَى مَا أَطْلَعَنِي عَلَيْهِ رَبِّي، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلاَ أَدَّعِي أَنِّي مَلَكٌ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوحِي إِلِيهِ اللهُ، وَقَدْ شَرَّفَنِي سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ، وَأَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ، وَإِنَّنِي أَتَّبِعُ مَا يُوحِيهِ اللهُ إِلَيَّ، وَلاَ أَخْرُجُ عَنْهُ مُطْلَقا (حومد،د.ت، ١/٨٤٠).

ويوضّح سيد قطب ما تضمنته الآية السابقة من دعوة إلى تحرير الإنسان من تأثير الأوهام المرتبطة بالخوارق المنسوبة – ظلماً وجهلاً– إلى مقام النبوة، حيث قال: "ثم جاءت العقيدة الإسلامية لتقذف بالحق على الباطل فتدمغه فإذا هو زاهق، ولترد إلى التصور الإيماني وضوحه وبساطته وصدقه وواقعيته، ولتخلص صورة النبوة وصورة النبي من تلك الخرافات والأساطير والأوهام والأضاليل، التي شاعت في الجاهليات كلها. وكان أقربها إلى مشركي العرب جاهليات أهل الكتاب من اليهود والنصارى على اختلاف الملل والنحل بينهم، وكلها تشترك في تشويه صورة النبوة وصورة النبي أقبح تشويه (قطب،٢٠٠٩، ٣/٣٨).

ثم اختتمت الآية السابقة بقوله تعالى: (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ)، أَيْ فِي ذَلِكَ، فَتُمَيِّزُوا بَيْنَ ضَلَالَةِ الشِّرْكِ وَهِدَايَةِ الْإِسْلَامِ، وَتُفَرِّقُوا بَيْنَ صِفَاتِ الرَّبِّ الْإِلَهِ وَصِفَاتِ الْإِنْسَانِ، وَتَعْقِلُوا حُجَّةَ الرِّسَالَةِ مِمَّا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْوَاعِ الْهِدَايَةِ وَالْعِرْفَانِ، وَأَخْبَارِ الْغَيْبِ الَّتِي لَمْ يُؤْتَهَا إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ، عَلَى مَا فِيهِ مِنْ بَلَاغَةِ الْبَيَانِ، وَالْأُسْلُوبِ الْبَدِيعِ الَّذِي لَمْ يَعْهَدُوهُ قَبْلَ الْآنِ. فَمَتَى كَانَ فِي قُدْرَةِ مِثْلِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ يَزِيدُ عَلَى الْأَرْبَعِينَ سَنَةً، عَاطِلًا مِنْ هَذِهِ الْبَلَاغَةِ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ (رضا،١٩٩٠،٧/٣٥٦).

يتبيّن مما سبق أن غرض الحث على التفكر الوارد في الآية السابقة يتعلق بضرورة التفريق بين المسلك العلمي الذي يعتبر بالحقائق البينة والوقائع الموضوعية، والمسلك الخرافي الذي يطلب الخوارق وإن كانت متعذرة فضلاً عن كونها مصادمة لمقتضيات العقل والمنطق. ويمكن تنزيل هذا المعنى على العملية التربوية من خلال تدريب الطلبة على التفكير العلمي السببي، وتجفيف منابع الفكر الوهمي والتصور الخرافي.

**المبحث الثالث: أغراض التفكر الرئيسة المعتمدة في الدراسة:**

في ضوء آيات التفكر الواردة في القرآن الكريم تم اعتماد سبعة أغراض للتفكرهي:

أولا: إدراك السنن الكونية.

ثانيا: التأمل في السنن الاجتماعية.

ثالثا: الاستدلال.

رابعا: استخلاص الحكم والمعاني من الأمثال القرآنية.

خامسا: التحليل الموضوعي للموقف.

سادسا: الموازنة بين المصالح والمفاسد.

سابعا: تحرير العقل من سلطان الخوارق.

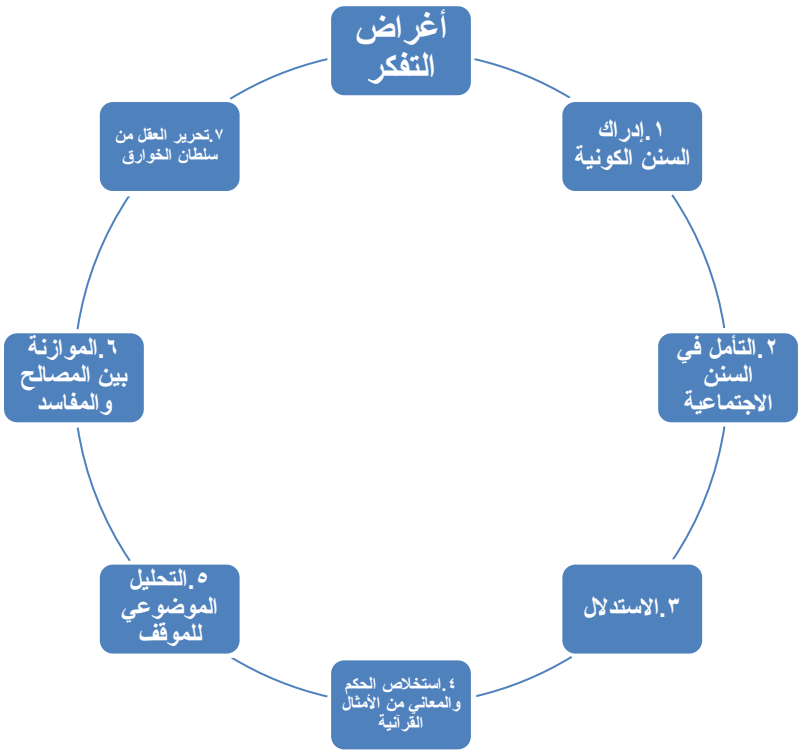


(شكل توضيحي لأغراض التفكر في ضوء القرآن الكريم)

**المبحث الرابع: نتائج الدراسة وتوصياتها ومقترحاتها:**

**نتائج الدراسة:**

خلصت الدراسة إلى أن أهم أغراض التفكر المستفادة من آي القرآن الكريم تتمثل في النقاط الآتية:

– إدراك السنن الكونية المفضي إلى استفادة الإنسان من سنة التسخير في القيام بعمارة الأرض، التي تمثل الركن الأساس في مهمة الخلافة.

– التأمل في السنن الاجتماعية الذي يسهم في تصويب سلوك الإنسان وممارساته.

– الاستدلال بإبداع الخليقة على الخالق المبدع، وبوحدة نظام الخلق على وحدانية الخالق عز وجل.

– استخلاص الحكم والمعاني من الأمثال القرآنية من خلال تقريب المعاني البعيدة بالأمثال المشاهدة القريبة.

– التحليل الموضوعي للموقف بما يضمن الوصول إلى الحقيقة بعيداً تأثير الرأي الجمعي والأفكار المسبقة.

–الموازنة بين المصالح والمفاسد، من خلال درء المفاسد وجلب المصالح، وتقديم أرجح المصلحتين، واجتناب أعظم المفسدتين.

– تحرير العقل من سلطان الخوارق الوهمية، التي قد يظن الإنسان الغافل أنها الطريق الموصل إلى إثبات الحق وإقامة الحجة.

**التوصيات:**

في ضوء النتائج السابقة توصلت الدراسة إلى التوصيات الآتية:

– اهتمام المؤسسات التعليمية ولا سيّما –مؤسسات التعليم العالي– بالدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، خاصة ما يتعلق منها بمنهجية التفكير العلمي.

– سعي المؤسسات الفكرية والثقافية والتربوية إلى تأصيل المفاهيم المعاصرة في ضوء توجيهات الكتاب والسنة.

– تدريب طلبة العلم على التفكر في آيات الأنفس والآفاق، لاستخلاص القوانين العلمية التي تمكّن الإنسان من امتلاك مقومات الاستخلاف والتمكين.

– قيام المدارس والجامعات بإعداد مناهج علمية ونشاطات عملية تسهم في تحرير عقول الطلبة من تأثيرات الأوهام وسلطان الخوارق التي لا أساس لها من المنطق السليم.

**المقترحات:**

في ضوء دراسة أغراض التفكر في ضوء القرآن الكريم يمكن اقتراح إجراء الدراسات الآتية:

– مجالات التفكر في القرآن الكريم وتوظيفها في العملية التعليمية.

– أنماط التفكر في القرآن الكريم وانعكاساتها على أنواع التفكير.

– مستويات التفكر في القرآن الكريم وعلاقتها بالوظائف العقلية العليا.

**المصادر والمراجع:**


**- القرآن الكريم**

١. **الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (٢٠٠٣م). الموسوعة القرآنية. د.ت، مؤسسة سجل العرب**

٢. **الألوسي، شهاب الدين محمود (١٩٩٥م). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية**

٣. **البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (٢٠٠٠م). معالم التنزيل في تفسير القرآن. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي**

٤. **تمزغين، محمد بن داوود (٢٠٠٨م). مجالات التفكر وجوانبه في القرآن الكريم. الجزائر: مجلة دراسات.العدد ٩، ص(١-٢٨)**

٥. **الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (١٩٩٨م). الجواهر الحسان في تفسير القرآن .تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار إحياء التراث العربي**

٦. **الثويني، نوال بنت ناصر (٢٠١٨م). آيتا الليل والنهار: خصائصهما وفضائلهما. القاهرة. جامعة الأزهر. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد ٣٥، الجزء ١، ص(٤٥١-٥٠٠)**

٧. **الجرجاني، علي بن محمد (١٩٩٨م). التعريفات. بيروت. مكتبة لبنان**

٨. **ابن الجوزي، أبوالفرج عبدالرحمن(١٩٩٧م). صيد الخاطر. تحقيق وتعليق: عامر بن علي ياسين. الرياض: دار ابن خزيمة**

٩. **الحزيمري، يوسف (٢٠١٨م). التفكر ومنهجية التفكير في الإسلام. https://tetouanplus.com/38134.html بتاريخ ٢٠٢٠/٥/١٢ الساعة الحادية عشرة ليلا.**

١٠. **https://shamela.ws- حومد، أسعد: أيسر التفاسير (المكتبة الشاملة).**

**الخازن، علاء الدين علي بن محمد (١٩٩٥م). لباب التأويل في معاني التنزيل. تصحيح: محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية**

١١. **الراوي، إسراء إبراهيم (٢٠١٢م). آيات العقل في القرآن الكريم: دلالة اللفظ وإعجاز التدبر والتفكر. بغداد. مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢، ص(٣٥١-٣٨٣)**

١٢. **رضا، محمد رشيد (١٩٩٠م). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب**

١٣. **الزحيلي، وهبة بن مصطفى (١٩٩٨م). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر**

١٤. **الزمخشري، أبو القاسم محمود (١٩٨٧م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي**

١٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (٢٠٠٠م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة

١٦. أبو السعود، محمد بن محمد(د.ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت، دار إحياء التراث العربي

١٧. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد (١٩٩٥م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

١٨. الشوكاني، محمد بن علي (١٩٩٤م). فتح القدير. دمشق: دار ابن كثير

١٩. الطبري، محمد بن جرير (٢٠٠٠م). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة

٢٠. طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٨م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

٢١. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (٢٠٠١). التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». تونس: الدار التونسية للنشر

٢٢. عبد الله، أحمد سمير فوزي (٢٠١٠م). الممارسة التربوية للمعلم في ضوء مفهوم التفكر ومتطلباته. جامعة الأزهر. مجلة كلية التربية،العدد ١٤٤، الجزء ٤، ص(٧٨٤-٨٣١)

٢٣. ابن عجيبة، أحمد بن محمد (١٩٩٩م). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. القاهرة. نشر: الدكتور حسن عباس زكي

٢٤. العكوز، فاطمة بنت سليمان (٢٠١٥م). النظر والتفكر في القرآن الكريم وثمربه. جامعةالأزهر، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة، العدد ٢٧، الجزء ٢، ص(١٤٦٩-١٦١٦)

٢٥. ابن فارس، أبوالحسين أحمد (د.ت).معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون. القاهرة: دار الفكر

٢٦. القاسمي، محمد جمال الدين (٢٠٠٣م). محاسن التأويل. تحقيق: محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية

٢٧. قطب، سيد (٢٠٠٩). في ظلال القرآن. موقع التفاسير http://www.altafsir.com

٢٨. ابن القيم، أبو عبد الله محمد (١٩٨١م). الأمثال في القرآن الكريم. تحقيق: سعيد محمد الخطيب.بيروت: دار المعرفة

٢٩. ابن القيم، أبو عبد الله محمد (١٩٩٦م). مفتاح السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة. تحقيق: علي بن حسن الحلبي الأثري. عمّان: دار ابن عفان

٣٠. ابن القيم، أبو عبد الله محمد (١٩٩٤م). الفوائد. تحقيق: عصام الدين الصبابطي. القاهرة: دار الحديث

٣١. ابن كثير، اسماعيل بن عمر (١٩٩٩م). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف www.qurancomplex.com

٣٢. لجنة من علماء الأزهر (١٩٩٥م). المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ط١٨). مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مؤسسة الأهرام

٣٣. المجالي، محمد خازر (٢٠٠٥م). مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم. عمّان: مجلة الشريعة والقانون، العدد الثالث والعشرون، مايو ٢٠٠٥، ص(٢١-٩٤)

٣٤. النسفي، عبد الله بن أحمد (١٩٩٨م). مدارك التنزيل وحقائق التأويل. حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي. راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو. بيروت: دار الكلم الطيب